المجلس الثالث

شرح

المواهب الربانية في الآيات القرآنية

للعلامة السعدي

للدكتور أبي بكر القاضي

www.abobakrelkady.net

المجلس الثالث

■■قال تعالى: {ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ} إلى قوله: {فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٖ} [آل عمران: ١٧٤]

يقول الشيخ -رحمه الله-: "نية العبد تقوم مقام عمله؛ وإذا أحسن العبد في عبادة ربه، ووطن نفسه على الأعمال الفاضلة الشاقة؛ سهل الله له الأمور، وهون عليه صعابها، وربما انقلبت المخاوف أمنًا، وتبدلت المحنة مِنحة، وربما حصل من آثار ذلك خيرُ الدنيا والآخرة، ويدل على ذلك قوله تتعالى: {ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ} إلى قوله: {فانقلبوا بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٖ} [آل عمران: ١٧٤]
فلا يُسْتنكر هذا الخير على ذي الفضل العظيم".

وهذا يُدلك على أن الصحابة بعد ما أصابهم القرح في غزوة أحد؛ فقُتل منهم سبعون، وأُسِرَ منهم سبعون؛ ثمّ دعاهم النبي بعد ذلك -ﷺ- إلى غزوة "حمراء الأسد"، فاستجابوا للنداء، حتى وإن لم يُقاتلوا بنفس الأداء؛ حيث بلغ بهم الأمر لدرجة أنّ الرَجُل كان يحمل أخاه حتى يصل.

فكان المسلمون يحملون بعضهم البعض حتى يصلوا، بلاشك أن الأداء لن يكون نفس الأداء وهم أصحاء، ولكن كانت نيتهم أفضل من أعمالهم، واستجابتهم وقولهم سمعنا وأطعنا حتى مع الضعف؛ فالله يقوي هذا الضعف.

ولذلك على الإنسان أن يوطن نفسه دائمًا على الاستجابة مهما كانت ظروفه؛ هذا هو العبد .

"موبيل" (شركة لتجارة المواد البترولية) عملوا إعلان، أي: شعار
بعنوان: (ربما تتغير الظروف لكن الأداء واحد)
ظروف السيارة، ظروف الماكينة الخاصة بالسيارة، المهم تبقى مع "موبيل"؛ فالأداء واحد قوي ومتميز جدًا.

نريد أن نطبق هذا الشعار في طريقنا إلى الله، ربما تتغير الظروف، لكن لابد أن الأداء يظل واحدًا.

- أنت اليوم في حالة جيدة، ولكن غدًا قد لا تكون في حالة جيدة.
- اليوم معك وظيفة، غدًا أنت عاطل.
- اليوم فقير، غدًا غني.
- اليوم ملك، غدًا مسجون.
- اليوم مُمَكَّن، غدًا مُستضعف.
- اليوم صحيح، غدًا سقيم.

هكذا تتغير الظروف، لكن لابد أن الأداء يظل واحدًا:
(الشُّكر، والصبر، وتحقيق العبودية لله)

لا يجوز أن تُعبد الله على حرف، إذًا سمعنا وأطعنا في كل الأحوال، لا أحققها فقط وأنا مزاجي معتدل، وليس عندي مشاكل، وضابطًا لكل أموري، وجيبي مليء بالمال، فبناءً على ذلك: أبدأ أفكر في الدعوة إلى الله، وافكر في أمر الآخرة!!

أمّا إذا مررت في ضائقة مادية، وأغلقت الدنيا عليك، والمرض اشتد عليك، وزادت مشاكلك مع الزوجة في البيت، ومشاكلك مع الأولاد، إذًا أنا مكتئب، ومنعزل، ولا أريد أن أرى أي أحد، ولا أريد أن أعمل، ولا أريد أن أصلي بالمسجد، ولا أريد أن أجلس للشروق، ولا أريد أن أؤدي النوافل، ولا ولا ...

هل تعبد الله على حرف أم ماذا؟
فهذا دليل على نقص، وخرق لِمِيثاق العبودية.

🔷"إذًا نية العبد تقوم مقام عمله؛ وإذا أحسن العبد في عبادة ربه، ووطن نفسه على الأعمال الفاضلة الشاقة؛ سهل الله له الأمور وهون عليه صِعابها".

فما هو الأصل؟ أنه لا يوجد تكليف شاق.
الأصل أن الله لا يكلف بشيء شاق.
قال تعالى: {لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ} [البقرة:٢٨٦]
يوجد كلفة، ويوجد قدر من المشقة، لكنّها مشقة محتملة.

انتبه هذه غير المشقة التي تجلب التيسير، هذا موضوع آخر.
المشقة التي تجلب التيسير: هي المشقة الغير محتملة، المشقة غير المعتادة؛ فإن الشريعة تأتي برفع هذا الحرج والمشقة، وذلك بتخفيف الحكم ، لكن هناك مشقة محتملة مثل:
أن تقوم لصلاة الفجر، هذه مشقة لكنها محتملة، فلا ترخص فيها.
ولكن بالنسبة للمصالح التي من أجلها شُرعت العبادة، فقد تكون هناك مشقة في الحقيقة ، ولكن المصالح التي شُرعت من أجلها العبادة أكبر.

هذه المشقة تُحتمل وتُمرر، إذا وطنت نفسك عليها، وأحسنت الظن بالله بأن الله جل وعلا يُيُسر لك الأمر، سيُيسر لك أمرك: في إسباغ الوضوء على المكاره، في القيام في الليالي الباردة، في الصيام في الأيام الحارة إلى غير ذلك.

إذا وطنت نفسك على أن الله سَيُيُسر لك؛ سَيُيُسر الله لك.

◆ قال: فلا يستنكر هذا الخير على ذي الفضل العظيم.

لا، وليس هذا فقط، ولكن: {فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ} [آل عمران:١٧٤]

ليس فقط أنهم انتصروا، ولكنهم انتصروا وحازوا الشرف، وحازوا هذا اللقب، والله تبارك وتعالى كفاهم أمر الأشرار، وكفاهم أمر الكفار ولم يمسسهم سوء.

◆ "وفي هذه الآية دليل أيضًا على أن الله يُحدث لعبده أسباب المخاوف والشدائد؛ ليحدث العبد التوكل على ربه، والإخلاص والتضرع ؛ فيزداد إيمانه وينمو يقينه".

- إذًا لماذا قدر الله وجود الأعداء والكفرة والفجرة والمنافقين؟!
- ولماذا قدر وجود من يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجًا؟!
- ولماذا قدر وجود من يرهبون المسلمين والمؤمنين في دينهم؟!

السبب: لكي تتوكل على الله ، أن تُحدث التوكل فيزداد إيمانك وينمو يقينك، كما قال تعالى:

}الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النّاسُ إنَّ النّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكم فاخْشَوْهم فَزادَهم إيمانًا وقالُوا حَسْبُنا اللَّهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ} [آل عمران:١٧٣]

■ ■في قوله تعالى:{مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ} [النساء: ١١]
■ ■وفي قوله تعالى:{مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ} [النساء:١٢]
■ ■وفي قوله تعالى:{مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ} [النساء:١٢]

فاتفقت على إطلاق الدين؛ وتقييد الوصية؛ لحصول الإيصاء بها ، وهذا يدل على أن الدين مقدم على حقوق الورثة وغيرهم مطلقًا؛ سواء وصى المدين بقضائه أو لم يوصي، وسواء كان دين لله أو للآدميين، وسواء كان به وثيقة أم لا.

إذًا قبل أن نُوزع التركة ماذا نفعل؟
نبحث عن الديون، نقوم بخصمها، ثم نبدأ التوزيع.

◆يقول: "وأما الوصية فشرط الله في ثبوتها أن يوجد الإيصاء بها، فإن لم يوصِ الميت لم يجب على الورثة شيء من التركة لغير الدَّين، ولابد من تحقق الإيصاء، فلو وُجد منه قولٌ في حال عدم شعور وعلم بما أوصى به؛ لم يتحقق أنه أوصى -لا بد أن يكون في كامل وعيه، ولابد أن تكون الوصية في حدود الثلث لو كان في مرض الموت-، ودلت الآيات على ثبوت الوصية التي يوصي فيها الميت، وقيدتها السنة بأنها الثلث فأقل لغير وارث".

قال-ﷺ-: (لا وَصيَّةَ لوارِثٍ) الترمذي، أي: لو أي شخص له فرض أو له نصيب من التركة، فليس له وصية، والوصية تكون في حدود الثلث، لكن لابد في الأصل إثبات الوصية.

إذًا الأصل في الوصية، أنه لا توجد وصية حتى تثبُت، أمّا الدين فنبحث عن ديون الميت، هل عليه دين، ونسأل أثناء الجنازة، "من له دين يذهب إلى فلان"، وننظر هل دين لله ؛ أم دين للآدَمي.

قال: "بل آيات المواريث وتقدير أنصباء الورثة، مع قوله في آخرها :{تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ○ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ} [النساء:١٣،١٤]
تدل على أن الوصية لوارث من باب تعدي الحدود".
أي: الوصية للوارث الذي له فرض من باب تعدي الحدود.

■■قال الشيخ السعدي: "لا يمنع الله تعالى عبده شيئًا إلا فتح بابًا أنفع له منه وأسهل وأولى، لماذا؟ لأن ربك عليم حكيم."

ما الدليل على ذلك؟
قوله تعالى: {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ} [النساء:٣٢]

انظر التدبر؛ هذه الآية نزلت في مسألة الجهاد، أن النساء تمنيّن أن تجاهد كما يجاهد الرجال، انظر النساء في زمن النبي -ﷺ-، لم تتمنّى أحدث موضة، وتسريحة، وحقيبة .....وغيرذلك ، إنّما تمنّت أن تجاهد كما يجاهد الرجال.

من تقول هذا هل تتخيل أن تعيق زوجها عن الجهاد؟!
عندما يريد الزوج أن يحضر الدرس هل تقول له زوجته:
- اجلس جانبي، واترك هذا الكلام الفارغ.

- اترك الدعوة إلى الله واجلسي جانبي.
- تذهب إلى المسجد وتتركني لوحدي، فتعيقه عن أمر الآخرة.

طبعًا لا، بل تعينه وتشجعه على طلب العلم والدعوة إلى الله.
تكون كأم الدحداح الذي أنفق زوجها البستان الذي فيه مائة نخلة!!!!!!!
مائة نخلة أنفقها في سبيل الله -جل وعلا-، فلَم تلومه على ما فعل، بل قالت: "ربح البيع يا أبا الدحداح" وليس ذلك فقط، بل قالت لأولادها الصغار عندما أكلوا تمر من البستان: " كخ..كخ ..أخرج التمر من فمك هذا بستان ربك"، لقد أقرض أبو الدحداح الحائط لله -جل وعلا-.

هذه أم الدحداح ليست كمثل بعض نساء اليوم، التي قد تطلق على بعضهن: (أم قويق)، (أم أربعة وأربعين) التي تلجم الرجل بمطالب البيت.
- تجد الرجل لا يعرف أن يخرج صدقة.
- لا يعرف أن يبذل وقت في سبيل الله -جل وعلا-.
- لا يعرف أن يطلب علم، ولا أن يحفظ قرآن.
- لا يجرؤ أن يطالب بحقه في طلب العلم، أو برغبته في تحفيظ أولاده القرآن، بل تعانده، وتفرض عليه بأن يدخل الأولاد مدارس اللغات، ويلبسون، ويأكلون، ويشربون، ويذهبون إلى النوادي، ولا يذهبون لحفظ القرآن.

كانت النساء على عهد النبي-ﷺ- تقول: يا ليتنا نجاهد كما يجاهد الرجال؛ تريد أن تخرج في القتال لتجاهد، أمّا النساء في زمننا:
- يقعدون الرجال عن الصلاة!!
- ويُقعدونهم عن العلم!!
- ويُقعدونهم عن الدعوى!!
- ويُقعدونهم عن البذل!!

بالطبع لا أقصد جميع الأخوات بذلك، بل رُبّما يكون منهنّ مثل أم الدحداح، ونحن نريد هذا النموذج....النموذج الذي يقول لها زوجها: أنا تصدقت بالحائط كله الذي به مائة نخلة؛ تقول له: ربح البيع، وتعينه على أمر دينه، وتعينه على قيام الليل؛ وصيام النهار، والاستغفار بالأسحار .....

طبعًا لا شك أن الزوجة: إما أن تكون عقوبة، وإما أن تكون نعمة ، فالزوج هو الأصل، على حسب ما يكون في ضمير الزوج ونيته. فإما أن تكون الزوجة عقوبة، وإما أن تكون الزوجة نعمة.

أنت تريدها (خديجة) -رضي الله عنها-، لكنك لست (محمدًا)-ﷺ-، كُنْ لها (محمدًا) تَكُنْ لك (خديجة)، تَكُنْ لك (عائشة) -رضي الله عنهما- لكنك في الأصل أنت مستهتر غيرُ مبالٍ لم تسألها يومًا عن الصلاة، لا تسأل إلا عن شئون المنزل من: طعام، وشراب، وكي الملابس، وعن حقك الجنسي، فطبيعي أنها تعيش بنِصفها الأسفل (البطن والفرج)

أنت رب البيت، أنت القائد؛ لذلك يحتاج الزوج أن يربي نفسه أولًا حتى يستطيع أن يربي زوجته، وأن يربي أولاده.
قال تعالى: { وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [النساء: ٣٢]

إذًا الله جل وعلا يقول للنساء لا تتمنوا ما فضل به الرجال، الرجال يجاهدون وأنتن أيضًا عليكن جهاد، ماهو هذا الجهاد؟ جهاد لا شوكة فيه (الحج والعمرة)

هل تستطيع المرأة أن تصل إلى درجة الرجل في الجنة بالحج والعمرة ؟

نعم؛ لأن هذا هو الواجب عليها . وأيضًا إذا أعانت الرجل على الجهاد الواجب عليه، فإنها تصل إلى درجة الرجل في الجنة.

ذكرت سبب نزول الآيات هو المفاضلة بين الرجال والنساء، لكن الشيخ السعدي هنا لايفسر وإنّما يتدبر الآية، أي: يوسع الأحكام الخارجة منها، فخرج بمعنى الآية من المفاضلة بين النساء والرجال إلى المعنى العام وهو المفاضلة بين الرجال بعضهم البعض، والمفاضلة بين النساء بعضهن البعض.

فكل فرد منّا أعطاه الله قدرات ومواهب لم يعطيها لغيره، فلا تتمنى ما عند غيرك.

هل تذكرون حينما درسنا أمراض القلوب وشفاؤها لشيخ الإسلام ابن تيمية، وذكرنا مسألة المنافسة في الدين، وقلنا إن الأصل في المنافسة تكون في الدين وليس في الدنيا.
لكن المنافسة بين الأشخاص وإن كانت في الدين تكون نقص.
هل تذكرون قولي أيهما أعلى أبو بكر أم عمر؟
عمر كان ينافس أبا بكر، فكان أبو بكر أعلى؛ لأن أبو بكر لم يكن ينافس أحد، كان منطلقًا مع نفسه يبحث عما يستطيع أن يفعله فيَفعله.
لذا لابد أن أعلم قدراتي، ومواهبي، واستغلها.
فهنا يقول لك لا تتمنى .....

🔷يقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: "لا يمنع الله تعالى عبده شيئًا إلا فتح بابًا أنفع له منه، وأسهل وأولى."

قال الله تعالى: {وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا} [النساء:٣٢]

"فمنع الله من تمني ما فضل الله به بعض العبيد على بعض، هذا كلام عام، وأخبر أن كل عاملٍ من الرجال والنساء له نصيب وحظ من كسبه، فحض الصنفين على الاجتهاد في الكسب النافع، ونهاهم عن التمني الذي ليس بنافع".

فتخيل أنه نهاهم عن التمني الذي هو من جنس المباحات، بل قد يدخل في المستحبات مثل التمني في الخير، ولكنه يفتح باب عدم الرضا ؛ لأنه قد يولد عند الإنسان شعور بعدم الرضا حتى لو كانت المنافسة في الطاعة.

فإن كان نهاهم عن تمني ما فضل الله به بعضهم على بعض، فمن باب أولى نهاهم عن الغفلة، وتثبيط بعضهم بعض عن أمر الآخرة.

◆قال: "فحض الصنفين على الاجتهاد في الكسب النافع".
إذًا فالمرأة والرجل كل واحد منهم له: عمله، وطريقه، وآخرته، وجنته وناره.
فلابد أن يعلم الزوج أن الزوجة لن تنفعه إلا بطاعة الله، وكذلك الزوجة لن ينفعها زوجها إلا إذا أعانها على طاعة الله، فكل ما سوى ذلك يزول ويفنى، قال تعالى:{ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} [الزخرف:٦٧]

◆قال: "ونهاهم عن التمني الذي ليس بنافع".
فالله ينهى عن أي شئ غير نافع، فضلًا أن يكون مضر لابد أن ينهى عنه.

◆قال: وفتح لهم أبواب الفضل والإحسان، ودعاهم إلى سؤال ذلك".
قال تعالى:{.. وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ..} (النساء:٣٢)، بلسان الحال ولسان المقال، وأخبرهم بكمال علمه وحكمته، وأن من ذلك أنه لا يُنال ما عنده إلا بطاعته.

أنت تريد فضل الله وأرزاق ونفحَات الله ورحماته فكيف تنالها؟!
- لا ينال ما عند الله جل وعلا إلا بطاعته.
- لا ينال ما عند الله بالقوة والفُتُوَّةُ؛ إنّما ينال بالافتقار والانكسار ومزيد الطاعة وشكر نعمة الله جل وعلا.

■■قال: "أنه لا ينال ما عنده إلا بطاعته، ولا تنال المطالب العالية إلا بالسعي والاجتهاد والله الموفق لكل خير".

في قوله تعالى:{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا} [النساء:٤٩]
أي: إذا كانوا إنّما حملهم على تزكية نفوسهم ومدحها خوفًا ألا يعرف مقدارهم ومنزلتهم، فليعلموا أن الله هو المزكي لمن يشاء من خلقه، وهو الذي تزكى بترك القبائح، وفعل الخيرات والله تعالى شكور حكيم ، فإن كانوا أزكياء حقيقة فلابد أن يظهر الله ذلك، وإن لم يظهروه؛ فإنه لا يظلم فتيلًا، ولكن قد علم أن الحامل لهم على هذه التزكية الدعوة الباطلة والافتراء والكذب؛ ولهذا قال الله تعالى:{ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا} [النساء:٥٠] فالأصل أن الإنسان لا يزكي نفسه، أي: لا يمدحها .

⬅ إذًا فماذا عن معنى قوله تعالى:{ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ• وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ} [الأعلى: ١٤،١٥]؟

هنا التزكية تختلف عن التي ذكرت في سورة النساء
}أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ} [النساء:٤٩] أي يمدحونها بما ليس فيها.
لكن التزكية في سورة الأعلى: في قوله تعالى:
}قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ • وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ {[الأعلى: ١٤،١٥]
تعني: أي من تزكى بطاعة ربه، أي: طهر نفسه من شوائبها بطاعة ربه.

إذًا التزكية المأمور بها ◄ هي أن تَتزكى بالطاعة.
أما التزكية المنهي عنها ◄ هي أن تمدح نفسك وتعجب بها.

فنقول لمن يزكي نفسه خوفًا من كلام الناس، أو ألا يعرفوا قدرك ويتهمونك بما ليس فيك:
- لو كنت فاضلًا سيظهر الله عز وجل فضلك.
- وإن كنت غير فاضل لن يظهر فضلك حتى وإن ادعيت به.

لذلك كان يقول الفضيل بن عياض:
"من أحب أن يُذكر لم يذكر، ومن كره أن يُذكر ذُكر"
فمن أحب أن يكون مشهورًا وتعرفه الناس، لن يكون كذلك أبدًا، ولكن من يهرب من الشهرة ومعرفة الناس له، فتلحَقه الشهرة.

كذلك الدنيا تلاحقها وتريدها، تتعزز عليك، ولكن تتركها ولا تعطي لها اهتمامًا تلحقك هذه هي الدنيا عامة.

الله :هو الذي تزكى بترك القبائح.
الله: هو القدوس، المتطهر من كل نقص وعيب.
فأي أحد يريد أن يتطهر من العيوب يكون بتوفيق مَنْ؟
بتوفيق الله، أي أحد يُمدح يكون بتوفيق الله جلَّ وعلا، لكن يُمدح بحق؛ لأن هناك أُناس تمدح بباطل.

قال رَسولُ اللهِ -ﷺ-: (المُتَشبِّعُ بما لم يُعطَ، كَلابِسِ ثَوبَيْ زُورٍ) تخريج المسند

وهناك أُناس تحب أن تُمدح بباطل، وتُحمد بما لا تفعل.
}لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ} [آل عمران: ١٨٨]

إياك!، والأصل أن الإنسان لا يطلب المدح ولا يطلب الثناء، فإن سمعه، وأتاه من غير طلب، فإن هذا عاجل بشرى المؤمن.
الأهم أن يكون من غير طلب وتَشَوُّف؛ لأن المدح، والشهرة بالضبط مثل: السُلطة، والمال.

قالَ لي رَسولُ اللَّهِ -ﷺ-:(يا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بنَ سَمُرَةَ لا تَسْأَلِ الإمَارَةَ، فإنْ أُعْطِيتَهَا عن مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إلَيْهَا، وإنْ أُعْطِيتَهَا عن غيرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا) صحيح البخاري.

هكذا أمر الدنيا كلها عندما تأتي لك من غير طلب فهو خير،
لكن إذا طلبتها وأتت، فهناك قدرمن الطمع، لذلك نريد أن نكسر هذا الطمع في قلوبنا بالاستغناء، وهذا الاستغناء لا يكون إلا بالله جلَّ وعلا.

■■قال الشيخ السعدي رحمه الله: ذكر الله تعالى مرقع للخلل متمم لما فيه نقص، ودليله قوله تعالى بعد ما ذكر صلاة الخوف وما فيها من عدم الطمأنينة ونحوها، قال تعالى: {فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا

وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا} [النساء:١٠٣]

الناس التي تنتهي من الصلاة ولا تختم الصلاة، اعلموا أن أي نقص في صلاتكم يجبرها ختم الصلاة.
بعد ما ذكر صلاة الخوف، وكيف أنها كانت خالية من الطمأنينة،
قال لهم: عوضوا ما فاتكم بالذكر.

نفس الكلام في صلواتنا يتخللها: السرحان، والسهو، والتفكر في كل شيء
وأنت في الصلاة، ما الذي يجبُر هذا النقص؟
ختم الصلاة (أذكار ما بعد الصلوات المكتوبة)

انتظر حتى تختم الصلاة، الدنيا لن تقف، كم تستغرق منك؟!
خمس دقائق، عشر دقائق، ما المشكلة!

قال: أي لينْجبر نَقصكم وتذم فضائلكم، ويُشبه هذا أن الكمال هو الاستثناء في قول العبد: {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا} [الكهف: ٢٣] فيقول إن شاء الله فإذا نسي فقد قال:
} اذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا}
[الكهف: ٢٤]
بمعنى إذا نسيت أن تقول إن شاء الله على شيء، وتذكرته بعد ذلك، فاقضِ،
هذا الكلام طبقه على أي شيء يفوت وقته:

- وقت أذكار الصباح فات عليك، اقضِ حتى لو استيقظت متأخرًا.
- وقت أذكار المساء فات عليك، اقضِ أذكار المساء.
- نافلة الظهر فاتت عليك، اقضها بعد العصر.
- وردك بالليل فات عليك، اقضيه بعد الضحى.

- ورد الأمس فات عليك، قم به اليوم....اقضِ.

قال تعالى: {اذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ} [الكهف: ٢٤]
وهذا أعم من كونه يستثنى بل يذكر الله سبحانه وتعالى تكميلاً لما فاته من الكمال والله أعلم.
فعلى هذا المعنى ينبغي لمن فعل عبادة على وجه فيه قصور أو أخل بما أُمر به على وجه النسيان أن يتدارك ذلك بذكر الله ليزول قصوره ويرتفع خلله، إذًا الذكر متمم لكل عمل فيه نقص .

نقف عند الآيات من سورة النساء: { إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [النساء: ١٠٤] ونبدأ في رسالة الزهد والورع والعبادة.